الفصل الرابع

مقاصد رسائل النور

في الزمان

obeikandl.com

obeikandl.com

تتلوّن مقاصد رسائل النور في الزمان، أي في الواقع المتحرّك بحاجات الناس وظروفهم، وهي في ذات الوقت منخرطة في المقاصد الكلية المستفادة من القرآن الكريم والمبيّنة فيما سبق ذكره، لهذا فهي مقاصد فرعية متعلّقة بإلجاءات المكان وظروف الزمان، أي أننا بصدد الحديث عن المقاصد في تجلياتها الجزئية المقدّرة بحسب ظروف الناس.

لسنا بمقام وضع مقاصد جديدة في هذا السياق، بل نحن بصدد بيان محاولات التكيّف مع معطيات الواقع بما تمليه المقاصد الكلية، لهذا فهي مقاصد جزئية تمليها إكراهات الواقع المتحرّك.

اخترنا في التعبير عن المقاصد في زمان مصطلحات بديع الزمان النورسي نفسه، وبذلك نبتعد عن التقويل أو التأويل، فعمدتنا في التأسيس لهذه المعاني ما أورده الأستاذ في رسائل النور بصريح العبارة، وبناء على ما سلف انتهيت إلى حصر تلك المقاصد فيما يأتي:

١. مقصد الأمن والنظام والحرية والعدالة.

٢. حصول صحوة إسلامية

٣. إنقاذ الإيمان والاعتصام بالقرآن، ولهذا المقصد أهداف كثيرة منها:

أ. المصالحة بين المدرستين الدينية والحديثة.

ب. أقصر طرق الفعالية.

ج. مصدر قيم الخير وصد الشر.

د. أساس التواصل الإسلامي والإنساني.

هـ. طريق تحقيق الاتحاد والأخوة والطاعة والمحبّة وإعلاء كلمة الله.

و. أساس الشكر والعبادة .

ز. التأسيس القلبي والعقلي للشفقة والمحبّة.

ح. إنقاذ الإيمان يعطي الحياة معنى.

ط. إنقاذ الإنسان والاستجابة لحاجاته.

ي. تجاوز الهلاك.

س. تليين القلوب.

ع. القيام بوظيفة الخدمة.

ف. خدمة الإيمان.

ص. نيل مرضاة الله.

٤. بعث الصلة بين الإيمان والأخلاق.

٥. الأخوة والمحبّة والتضحية.

٦. الاتّحاد بين أهل الإيمان.

٧. دفع الأمراض الاجتماعية بالإيمان.

obeikandl.com

أولا: مقصد الأمن والنظام والحرية والعدالة

دفعت طبيعة الأزمة التي يمرّ بها عالمنا الإسلامي الأستاذ بديع الزمان إلى التأكيد على أنّه ليس من مقاصد رسائل النور أو أهدافها في العصر الحاضر الاشتغال بالسياسة دفعا لخوف المسلطنين أو السائرين في مسالكهم وتطمينا لهم على مسلكهم، إذ تتلخّص المعركة في تحطيم الكفر المطلق الذي يعدّ أس أساس الفوضى والاستبداد من جهة والتأسيس للأمن والنظام والحرية والعدالة.

صرّح بديع الزمان بهذه المعاني في سياق مرافعته عن رسائل النور فيقول رحمه الله: "أيها البائسون!.. إن رسائل النور لا علاقة لها بالسياسة، بل تقوم بتحطيم الكفر المطلق – الذي أسفله الفوضى وأعلاه الاستبداد المطلق – وتفتيته وردّه على أعقابه... تسعى رسائل النور إلى تأسيس الأمن والنظام والحرية والعدالة في هذا البلد."[1]

وتدلّ تصرّفاته رحمه الله على تبنّي ذلك المسلك في التغيير، إذ تأسيسا لمعاني طلب الأمن والحرية والنظام والعدالة، تجده ينأى بنفسه من أن يكون هدفا للاتّهام بالتعلّق بالدنيا ومفاتنها، لهذا تجده من منطلق الحكمة في التبليغ يتهرّب تهرّبا شديدا وينفر من التعرّض للسياسة والحكم، رغم امتلاكه قوّة الحق ما يسمح له بالدفاع عن حقة بجدارة وكفاءة، تؤكّدها إشارته الرائعة إلى مقتضيات تغييب العدالة رغم عزوفه عن الخوض في السياسة، وعزاءه في ذلك أنّه مادام كل شيء زائلاً وفانياً ومادام الموت موجوداً والقبر لا يزال فاغراً فاه،

---

١. الشعاعات ٣٣٤ (بتصرف)

ومادام الأذى ينقلب إلى رحمة، فإننا نفضل أن نصبر ونتوكل على الله ونشكره ونسكت.أما محاولة الإخلال بسكوتنا وهدوئنا بالإكراه بإيقاع الأذى بنا فإنها تناقض كل مفاهيم العدالة والغيرة الوطنية والحمية الملية.[1]

ثانيا: حصول صحوة إسلامية

حينما يسجّل المصلح أو الإمام المرشد خللا في التصوّرات وانحرافا في الفعل يسعى جاهدا إلى تحصيل صحوة تتجاوز الوعي الراهن والتأسيس لوعي يستوعب الراهن بجميع مكوّناته المادية والمعنوية، ويستلهم من القرآن دواءه، من منطلق ذلك التشخيص لعمل المصلحين على مرّ الزمان، جعل بديع الزمان التأسيس لصحوة إسلامية راشدة مقصدا رئيسا من مقاصد رسائل النور، ذلك ما ورد في الرسائل: "أجل إن الهدف الذي كان يصبو إليه بديع الزمان منذ نعومة أظفاره والأمل الذي كان يحدوه وهو في طريقه إلى أنقرة هو حصول صحوة إسلامية تعم العالم الإسلامي، هذه الروح العظيمة توضحت في مباحثاته مع مئات العلماء في شرقي الأناضول قبل مجيئه إلى استانبول بل توضح أكثر عند قدومه إليها حتى حيّر السياسيين. ولم تغادره هذه المسؤولية الجسيمة والمهمة الثقيلة والشوق الدائم قط. فكان يأمل أن يكون الإعلان عن الحرية والمشروطية في خدمة الشريعة الغراء، ويكون ذلك تباشير سعادة الأناضول والعالم الإسلامي قاطبة، حتى أنه ألقى الخطب في ضوء ذلك الأمل وكتب المقالات بغية تحقيقه، وظهر ذلك أيضاً في مؤلفاته ولاسيما في "سنوحات،

---

١. انظر الشعاعات ٣٤٧

لمعات" وغيرها مما ألفه في تلك المرحلة. وكان لا يتواني من التصريح أن أعظم صوت مدو في المستقبل هو صوت القرآن العظيم."[1]

ويخدم ذلك المقصد بحسب رأي بديع الزمان بالتأسيس للحرية[2] ووضع قوانين أساسية تصونها من عبث العابثين والوصوليين والانتهازيين، وتكون تلك القوانين مصونة بالشريعة الغراء، فالعمل على تكوين وعي بضرورة الحرية لا يختلف من حيث القيمة والتأثير عن العمل على تحقيق الصحوة نفسها، إذ الخلوص إلى الصحوة يمرّ ضرورة بالحرية.

كما تجلى العمل على تأسيس صحوة إسلامية راشدة بإعادة الأمور إلى نصابها، فيعود الإيمان إلى مركزه في صناعة الوعي بالحياة ويكوّن دافعية العمل إلى الخير الإنساني العام، وطريق ذلك إنقاذ الإيمان، وبهذا يكون من أهمّ متطلّبات تحصيل الصحوة المنشودة، إنقاذ الإيمان والاعتصام بالقرآن الكريم.

ثالثا: إنقاذ الإيمان والاعتصام بالقرآن، ولهذا المقصد أهداف كثيرة

جعل بديع الزمان إنقاذ الإيمان وصدّ الإلحاد مقصدا رئيسا في رسائل النور، فكان رغم الصعاب المتمثّلة في المراقبة التي لا تغادره يتحيّن فرص تبليغ ذلك المقصد النبيل، فكان يتجاذب الحديث مع من وفّقوا إلى لقائه، ويخاطبهم حسب مستواهم الفكري والثقافي حيث كان الزائرون من طبقات الشعب

---

١. سيرة ذاتية ١٨٢

٢. انظر كتابنا، ماهية الإنسان وصلتها بحريته ووظيفته الاجتماعية، ص ٤٠-٤٩

كافة. فينصبّ حديثه مجملاً حول أهمية الإيمان في الوقت الحاضر، وكان يصرّح بملء فيه بأنّ القصد الأساس لرسائل النور تقوية الإيمان وصد الإلحاد الذي يهدد الأمة والوطن.

واعتبر رحمه الله أهم قضية في الوقت الحاضر إنقاذ الإيمان وتقويته بالاعتصام بالقرآن الكريم. ورسائل النور تحصر نظرها في هذا المقصد، وحماية الإيمان وإنقاذه حماية للأمة في ماضيها وحاضرها ومستقبلها، لهذا فالمرافعة مطلوبة حتى بمنظور وطني، لأنّها وطنية صادقة، ترمي إلى حماية البلاد والعباد من الوقوع في مخالب الأمراض القاتلة كالكفر والإلحاد الذين هم أخطر من الطاعون والسل.

وقد كانت تلك المساعي سببا في تعرّضه – رحمه الله – لتكالب أعداء الوطن والدين من الملحدين، فاختلقوا الافتراءات الظالمة والإشاعات المغرضة، ورغم ذلك بقي صلبا شامخا صابرا، يجابه كل ذلك بثقة المؤمن بالله، ومردّ ذلك التحمّل، الإيمان، ذلك المقصد الذي عمل على إنقاذه، فقد كان الإيمان مصدر ومرجع العمل الإيجابي البنّاء، وهو المصدر الوحيد والرئيس لتلك الإيجابية.

الإيمان الفاعل أقوى من صولجان السياسة، وبرنامج مكثّف يسع الحياة كلّها، إذ لو كانت لنا مائة من الأيدي لما كفت في حمل النور المنبعث من الإيمان، ذلك الإيمان الذي كان وسيبقى أساس مسلكنا الحاث على الإخلاص وابتغاء مرضاة الله وحده، وهذا هو مصدر قوة النور. فالعناية الإلهية تحمي خدمتنا ما دمنا مخلصين نعمل عملاً إيجابياً بناءً.[1]

---

١. سيرة ذاتية ٣٦٤

obeikandi.com

أهداف إنقاذ الإيمان

١. المصالحة بين المدرستين الدينية والحديثة

المسلك المؤسس على الإيمان كمقصد رئيس في تطعيم الأمّة ضد أمراض الإلحاد مدرسة تصالح بين أهل المدرستين الدينية والحديثة وأهل الزوايا والتكايا وتجعلهم يتّحدون في خدمة ذلك المقصد، ذلك أنّ الإيمان يحدث بينهم الميل عن التنازع ثم الميل إلى تبادل الأفكار.[١]

٢. أقصر طرق الفعالية

يعتبر بديع الزمان رسائل النور من أهم وأقصر طرق تحقيق مقصد إنقاذ الإيمان والمعجزة المعنوية للقرآن الكريم في هذا العصر، فقد كشفت التجارب والأخبار أنّ لها تأثيرا عظيما في البلدان العربية والباكستان أكثر من أي بلاد أخرى، حتى ورد خبر مفاده أن طلاب النور في تلك الأماكن يزيدون ثلاثة أضعاف على ما ثبتته المحاكم في تركيا أثناء محاكمة الشيخ وبعض تلاميذه، لهذا يقول النورسي:"اضطرت روحي إلى بيان ومشاهدة هذه النتيجة العظيمة وأنا على عتبة القبر."[٢]

٣. مصدر قيم الخير وصد الشر

الإيمان مصدر قيم الخير وحائط صدّ الشر من ولوج القلوب والعقول، فهو الدافع إلى الشكر والعبادة اللتين تعتبران مدار المقاصد الإلهية في بناء قصر الكون

---

١. سيرة ذاتية ٥٠٦

٢. انظر الملاحق ٤١٥

obeikandl.com

ولا سيما الإنسان الذي هو أفضلهم إزاء النعم التي نالوها. إنّ مدار الاستفادة من الكون وعناصره المادية والمعنوية الإيمان[1]، ذلك المقصد الذي يعدّ بمثابة محرّك سائر المقاصد ولبّ لبابها.

٤. أساس التواصل الإسلامي والإنساني

الإيمان يؤسس للتواصل بين المؤمنين من جهة والأسرة الإنسانية من جهة أخرى، ذلك أنّ الإيمان رابطة قوية في التأسيس المعنوي لأسمى جمعية وأقدسها في الوقت الماضي والحاضر والمستقبل، تلك الجمعية التي تمثّل جمعية الخدمة الإيمانية. فجميع الذين انخرطوا في سلك الخدمة المؤمنة المضحية ابتداءً من أبسط تلميذ و منتسب إلى الأستاذ داخلون في هذه الجمعية.

٥. طريق تحقيق الاتحاد والأخوة والطاعة والمحبّة وإعلاء كلمة الله ﷻ

ترمي جمعية رسائل النور إلى تحقيق أقدس هدف لأقدس جمعية في العالم، ويتلخّص ذلك الهدف في الاتحاد والأخوة والطاعة والمحبة وإعلاء كلمة الله. فالجنود المؤمنون قاطبة يدعون إلى هذا الهدف، وفاعلية ذلك المسعى تجعل أولئك الخدّام مراكز بليغ تلك الأفكار من جهة وأنموذج العيش بتلك الأفكار من جهة أخرى، فعلى الأمة والجمعيات أن ينتسبوا إلى صحّت نسبة إلى زمرة الخدمة أولئك الذين يمثّلون خط الإيمان بأحوالهم قبل مقالهم،أولئك يتلخّص مشروعهم في إشاعة المحبة والأخوة بين أرفاد الأمة، فيسعفون الأمّة بتكوين الاتحاد المحمدي الذي هو شامل لجميع المؤمنين فهو ليس جمعية ولا حزباً، إذ مركزه وصفّه الأول المجاهدون والشهداء والعلماء والمرشدون.[2]

---

١. المكتوبات ٣٠٨

٢. انظر سيرة ذاتية ١٠٧

٦. أساس الشكر والعبادة

الإيمان في أصل وضعه المستفاد من الوحيين ودلّت عليه تصرفات الرعيل الأول، يهدف إلى التأسيس النظري للشكر مع لفت النظر إلى النماذج التطبيقية المتجلية في سيرة المصطفى وصحابته الكرام البررة، وقد دلّت تلك التطبيقات على أنّ أصفى خلاصة مترشحة من الإيمان بجميع مضامينه وأبعاده الوظيفية الشكر والعبادة والحمد والمحبّة،من هذا المنطلق عدّت رسائل النور تحقيق الشكر والعبادة من أهمّ المقاصد الإلهية في الكون وأهمّ نتيجة لخلق العالم.[1]

٧. التأسيس القلبي والعقلي للشفقة والمحبّة

تعمل رسائل النور من خلال مقاصدها إلى تجاوز ما شاع تداوله بين البشر من ألفاظ فقدت اجتماعيا معانيها وخاصة مصطلحي المحبّة والشفقة، إذ لا نجد لتلك المعاني في مزاولتنا الاجتماعية سندا من نقل أو عقل أو قلب، فكان منهج الرسائل مؤسسا للفكرة في أصل وضعها، فاستصحبها في وضع الرسائل، بل جعلها من غاياته الرئيسة تأسيسا وتمحيصا، يشهد لهذا المعاني تأكيد بديع الزمان النورسي أنّ منهج رسائل النور يعبّر عن الشفقة والعدل والحق والحقيقة والضمير ليمنعنا بشدة من الوقوع تحت طائلة الاستجابة للاستفزاز الاجتماعي أو المعرفي من خلال قصر الاهتمام بالأمور الجزئية على حساب الأمور الكلية والأساسية، نحو اختصار الهمّ في المزاولة السياسية نقدا وتمحيصا بل وحتى تأسيسا.

والقضية بهذا الصدد تحتاج إلى تدقيق، فالمسألة المشار إليها قد تكون قضية خطيرة وكلية لها دور أساسي في تزييف الوعي أو تأخير صناعة وعي، إلاّ أنّها بالنظر إلى المسألة الأم تعتبر جزئية، من ذلك مثلا في ظل الظروف الراهنة مسألة

---

٢. اللمعات ٥٥٩

الإلحاد، فلو قصرنا المعركة على المبتلين بهذه الأمراض النفسية والمعرفية، فإننا سنخسر أبناءهم وربّما أحفادهم، لهذا يؤكّد الأستاذ على أنّ وراء أولئك المبتلين بالإلحاد – واستحقوا بذلك العقاب – عدداً من الأطفال والمرضى والشيوخ الأبرياء. فإذا نزل بأحد أولئك المبتلين المستحقين للعقاب كارثة أو مصيبة، فإن أولئك الأبرياء أيضاً سيحترقون بنارهم دون ذنب جنوه.وكذا لان حصول النتيجة المرجوة أمر مشكوك فيه، لذا فقد مُنعنا بشدة[1] عن الاهتمام بالمسائل الجزئية على حساب معركة المصير المعبّر عنها بقضية حماية المكاسب الإيمانية والتأسيس لبقائها في المجتمع دون الدخول في معركة قد تعرّض البلاد والعباد إلى ما تحمد عقباه، لهذا يلحّ النورسي على التحليل الذي بموجبه نقدّر الأولويات، وأولوية الأولويات حسب تقديره حماية الإيمان بتثبيته وإثباته إن اقتضى الحال، وفي ذلك أبين جواب وأحسنه على الإلحاد عوض الدخول في مهاترات تعرّض طاقات الأمة إلى الضياع أو على الأقل تسهم في صرفها في غير أبوابها.

٨. إنقاذ الإيمان يعطي الحياة معنى

إنقاذ الإيمان يعطي معنى إيجابيا لكل يوم من أيام العمر التي تمضي في السجن الكبير (الدنيا) أو السجن الصغير (المعروف)، فيمكن أن يُكسِب المرء ثواب عبادة عشرة أيام من عبادة يوم واحد، ويمكن أن يحوّل ساعاته الفانية – من حيث النتيجة – إلى ساعات باقية خالدة.. بل يمكن أن يكون قضاء بضع سنين في السجن وسيلة نجاة من سجن أبدي لملايين السنين.[2]

يحلي الإيمان المنقذ الحياة بالرحمة وبذلك تكسب الحياة معنى وتشدّ إليها القلوب والعقول بما يخدم تعبيدها لله تعالى، فالرحمة وفق ضبط الشرع لها من

١. انظر الشعاعات ٤٠٦

٢. انظر الشعاعات ٥١٩

أدلة القيامة والسعادة الأبدية، لأن الرحمة إنما تكون رحمةً، والنعمة نعمةً إذا جاءت القيامة وحصلت السعادة الأبدية. وإلاّ فالعقلُ الذي هو من أعظم النِعَم يكون مصيبةً على الإنسان، والمحبة والشفقة اللتان هما من ألطف أنواع الرحمة تتحولان ألماً شديداً بملاحظة الفراق الأبدي.[1]

٩. إنقاذ الإنسان والاستجابة لحاجاته

ترمي المقاصد الكلية والجزئية إلى إنقاذ الإنسان، فتستجيب تلك المقاصد لحاجاته، إذ لا يمكن تصوّر عدم استجابة العدالة والحكمة الربانيتين لتلك الحاجة العظمى، حاجة البقاء لأسمى مخلوق وهو الإنسان؟ في حين أنهما تستجيبان لأدنى حاجة لأضعف مخلوق؟ فهل من الممكن أن تردّا أهم ما يرجوه الإنسان وأعظم ما يتمناه، وألاّ تصونا حشمة الربوبية وتتخلفا عن الإجابة لحقوق العباد؟[2]

وبذلك تعطي للحياة البشرية معنى وتزوّدها بالعناصر الإنسانية في التصرّفات والمقاصد والأهداف المتعلّقة بالحياة الدنيوية نفسها.

١٠. تجاوز الهلاك

إنقاذ الإيمان يؤسس لحائط صدّ معرفي واجتماعي و...فيؤسس للتطعيم المعرفي والحضاري المانع من تجاوز الفكر المهلك بل وإسعاف المبتلى به على تجاوز مرضه، لهذا ينصح الأستاذ -وبإلحاح شديد- بالتعلّق بالدين والعض عليه بالنواجذ فهو حامينا من الهلاك الدنيوي والأخروي، لهذا قال النورسي ناصحا: "أيها المسلم لا ترخِ يدك عن الإسلام الذي هو حامي وجودنا وكياننا تجاه

---

١. إشارات الإعجاز ٢٩

٢. انظر الكلمات ٦٩

الدمار الذي تولّده هذه النتيجة المخيفة لتقدم أوروبا، بل عض عليه بالنواجذ واستعصم به بقوة، وإلاّ فمصيرك الهلاك."[1]

١١. تليين القلوب

ترمي مقاصد رسائل النور إلى تثبيت القلوب وتنشيط عزائم الأتقياء والصالحين وتشدّ على أيديهم، فتزوّدهم بالقيم والأصول الميسّرة لتحقيق ذلك الأمر بيسر ووضوح، بل تتجاوز ذلك إلى خدمة كل من دخلها محررا من أفكار مسبقة، وهو سرّ فشل أعداء رسائل النور المتسترين أن يتحملوا تلك الفتوحات النورية، فنبّهوا المسئولين في الدولة ضد أهل الرسائل، وأثاروهم عليهم، فأصبحت الحياة – مرة أخرى – ثقيلة مضجرة، إلاّ أن العناية الإلهية تجلت على حين غرة، حيث أن المسئولين أنفسهم – وهم أحوج الناس إلى رسائل النور – بدأوا فعلاً بقراءة الرسائل المصادرة بشوق واهتمام، وذلك بحكم وظيفتهم. واستطاعت تلك الرسائل بفضل الله أن تليّن قلوبَهم وتجعلها تجنح إلى جانبها. فتوسّعت بذلك دائرة مدارس النور، حيث إنهم بدأوا بتقديرها والإعجاب بها بدلاً من جرحها ونقدها. فأكسبتنا هذه النتيجة منافع جمة، إذ هي خير مائة مرة ممّا نحن فيه من الأضرار المادية، وأذهبت ما نعانيه من اضطراب وقلق. ولكن ما أن مرّت فترة وجيزة، حتى حوّل المنافقون – وهم الأعداء المتسترون – نظر الحكومة إلى شخصي الأستاذ، ونبّهوا أذهانها إلى حياته السياسية السابقة، فأثاروا الأوهام والشكوك، وبثوا المخاوف من حوله في صفوف دوائر العدل والمعارف (التربية) والأمن ووزارة الداخلية. ومما وسّع تلك المخاوف لديهم ما يجري من المشاحنات بين الأحزاب السياسية، وما أثاره الفوضويون والإرهابيون – وهم واجهة الشيوعيين – حتى أن الحكومة قامت إثر

---

١. انظر صيقل الإسلام ٣٦٧

ذلك بحملة توقيف وتضييق شديد عليه، وبمصادرة ما تمكّن الأستاذ النورسي من الحصول عليه من الرسائل، فتوقف نشاط طلاب النور وفعالياتهم.[1]

١٢. القيام بوظيفة الخدمة

يسّر إنقاذ الإيمان تحرير مجال الفعل الإنساني بدقة متناهية، فتجلي تلك الحقيقة المنقذة مساحة الفعل، وتؤسس للعمل في المساحات المتاحة فعلا والابتعاد عن المساحات غير المطلوبة أو الممنوعة، لهذا كان أعظم شرط من شروط الجهاد المعنوي هو عدم التدخل بالوظيفة الإلهية. أي بما هو موكول إلى الله. والاقتصار على وظيفة الخدمة، بمعنى أنّ وظيفتنا الخدمة فحسب. بينما النتيجة تعود إلى رب العالمين، وإنّنا مكلّفون ومرغمون في الإيفاء بوظيفتنا.[2]

والقيام بوظيفة الخدمة انسجام مع العناصر الكونية في شقيها المادي والمعنوي، ذلك أنّ بين العناصر الكونية تكاملا يستغرق الجميع، فقد أعطى القدير الجليل كلَّ عنصرٍ من العناصر وظائف كثيرة، ويُنشئ على كلٍ من تلك الوظائف نتائج كثيرة. فلو ظهرت نتيجة واحدة قبيحة – أي شر ومصيبة وبلاء – من عنصر من العناصر في وظيفة من وظائفه الكثيرة، فإنّ سائر النتائج المترتّبة على ذلك العنصر، تجعل هذه النتيجة الوخيمة في حكم الحسن والجميل، لأنّها جميلة وحسنة إذ لو مُنع ذلك العنصر الغاضب على الإنسان من تلك الوظيفة للحيلولة دون مجيء تلك النتيجة الوحيدة البشعة للوجود لتُركت إذن خيرات كثيرة بعدد النتائج الخيرة المترتبة على سائر وظائف ذلك العنصر. أي تحصل شرور كثيرة بعدد تلك النتائج الخيرة، حيث إنّ عدم القيام بخير ضروري، إنّما هو شر كما هو معلوم. كل ذلك للحيلولة دون مجيء شر واحد! وما هذا إلاّ

---

١. انظر السيرة الذاتية ٣٨٣

٢. انظر سيرة ذاتية ٤٧٠

منافاةٌ للحكمة. وهو قبح واضح، ومجافاة للحقيقة، وقصور مشين. بينما الحكمة والقدرة والحقيقة منزهة عن كلّ نقص وقصور.[1]

١٣. خدمة الإيمان

تتميّز رسائل النور بإكساب قرّائها علما بطريقة مبتكرة أصيلة في تحصيل الحقيقة، ذلك أن كلّ تحصيل علمي آخر تكون الغاية من الاستمرار فيه هي المنفعة المادية أو الحصول على موقع ما. أي أنّ الدوام لهذه الدروس لا تكون عن رغبة بل في الغالب للحصول على منافع مادية أو على شهرة. أما رسائل النور فتشبه جامعة حرة غير مفتوحة، والذين يداومون في هذه الجامعة بقراءة رسائل النور لا يبتغون أي هدف دنيوي بل يبتغون خدمة الإيمان والقرآن فقط لا غير.[2]

وطريق خدمة الإيمان إنقاذه، وقد حاول الأستاذ جهده تلقين تلاميذ رسائل النور دروسا في إنقاذ الإيمان، وعدّ ذلك أكبر غاية وأهمّ هدف للبشرية على سطح الأرض، إن قيامه منذ ما يقرب من خمس وعشرين سنة بمحاولة إنقاذ إيمان مئات الآلاف من الناس برسائل النور، وهو نفسه كان أحوج الناس إلى معرفتها، ذلك أنّهم في حاجة إلى معرفة شيء عن الإسلام ودروس الإيمان الذي هو السعادة القصوى والغاية من الحياة يعد دون شك فضلا إلهياً.[3]

إنقاذ الإيمان ييسّر للإنسان تذكّر الغايات والمقاصد لأنّ الإنسان مبتلىً بالنسيان، وأسوأ النسيان نسيانَ نفسه. إلاّ أن نسيان النفس إن كان في المعاملة، والخدمة، والسعي، والتفكر فهو الضلال. وإن كان في النتائج والغايات فهو الكمال. فأهل الضلال، وأهل الهدى متعاكسان في النسيان والتذكر. أما

---

١. انظر الكلمات ١٩٧

٢. انظر الشعاعات ٥٩٣

٣. انظر الشعاعات ٦٠١

الضال، فينسى نفسه عند النظر للعمل، وتطبيق دساتير الوظيفة، بل يمدّ نظرَه إلى الآفاق لتطمين الأنانية المتفرعنة، وغرورَه المنبسط الذي تضيق عنه النفس. لكن يتذكر نفسه في كل شيء من الغايات فتيلاً أو نقيراً. حتى لا غاية عنده، إلا ما يعود إلى نفسه. وان غاية الغايات في نظره، حب ذاته.[1]

ومن مظاهر خدمة الإيمان جعل الهدف المباشر لرسائل النور هو الآخرة، ولا علاقة له بالدنيا إلا بقدر ما ييسّر له العمل على تحقيق مقصد الآخرة، يشهد لهذا قول بديع الزمان: "إن رسائل النور لا تستهدف الدنيا، بل تستهدف السعادة الأخروية الدائمة وتستهدف نيل رضا الله الباقي الأزلي الرحيم ذي الجلال الذي لا يشكل الحسن والجمال في الدنيا إلا ظلاً خافتاً لجماله ولا تشكل لطائف الجنة جميعاً إلا لمعة من محبته سبحانه. فما دام مثل هذا الهدف الإلهي المقدّس ومثل هذا الهدف السامي موجوداً، فإنّني أبرئ رسائل النور وأنزهها ألف مرّة من الوقوع في أمور سفلية ومحرّمة تؤدي إلى نتيجة كتحريض الناس ضد الحكومة. ونحن نلوذ بحمى الله تعالى من شرور هؤلاء الذين لا يريدون منّا أن نتعلم أمور ديننا ولا أن نخدم إيماننا فيفترون علينا مثل هذه الافتراءات لكي يقضوا علينا.[2]

١٤. نيل مرضاة الله

يحقق السعي إلى نيل المقاصد والغايات الآنفة الذكر التهيّؤ لنيل رضا الله سبحانه وتعالى، لأنّ الله هيّأ لنا فرصة اكتساب محبّة الملايين من أهل الحقيقة ودعاءهم وشفاعتهم.

---

١. انظر المثنوي العربي ٤٠٦

٢. انظر الشعاعات ٤٢٩، ٦٠١

تبرهن على تلك الحقائق وتوضّحها مرافعة الأستاذ أمام المحكمة، غذ يقول: "إنّ الحقيقة السامية المسماة بـ"رسائل النور" أمامكم. فهل المراتب والمقامات الدنيوية الفانية والسفلية هي غايتها؟ أم أن غايتها هي نيل رضا الله تعالى الذي هو السعادة العظمى والفرحة الكبرى والهناء الذي ما بعده هناء؟ أو تحفّز كلماتها الإنسان إلى الأخلاق الرديئة والهابطة أم تجهّزهم بالإيمان وتجمّلهم بالفضيلة وبالأخلاق السامية؟ أنتم تجدون رسائل النور أمامكم وهى منبثقة من الإعجاز المعنوي للقرآن المبين الذي هو نور إلهي. فما دام اكتساب الإيمان، والانتقال بهذا الإيمان في الدنيا إلى سعادة الدار الآخرة أهمّ غاية للإنسان، ومادامت رسائل النور تقدم – بفيض من القرآن – الحقائق الإيمانية وتقرب مئات الآلاف من قرائها ومستنسخيها إلى هذا الهدف، فلا مناص أمام عدالتكم السامية وحبكم للحقيقة إلاّ فهم الوجه القرآني، والوجه الحقيقي لرسائل النور وتقدير قيمتها الحقيقية، ومعرفة أنّ طلاب النور لا يسعون إلاّ لنيل رضا الله تعالى وأنّه لا هدف لهم سواه.[1]

رابعا: بعث الصلة بين الإيمان والأخلاق

شاع في أدبياتنا الانفصال النكد بين الأخلاق والإيمان، حتى صارت الصلة بينهما مفقودة، فتجد الرجل يدندن بكلمات إيمانية لا صلة لها بحياته الشخصية أو الاجتماعية، كأنّ يكون لسانه لاهجا بذكر الله ولكنّ عقله وسلوكه في أبعد ما يكون عن تلك المعاني المردّدة باللسان، وقد ظهرت رسائل النور من أجل تجاوز ذلك الانفصال بالتأسيس للتواصل بينهما، فجعلت الهدف الوحيد

١. انظر الشعاعات ٦٠٦

والخدمة الوحيدة لرسائل النور والأستاذ وطلبة النور هي إيفاء خدمة مقدسة للإسلام ولاسيما إيفاء خدمة مقدسة للأمة التركية المسلمة والأمة الإسلامية من ناحية الإيمان والأخلاق.

من مطلق ذلك الهدف العظيم ينبغي بل من الضروري ومن الواجب عدم التعرض لرسائل النور ولطلابها من جراء خدماتهم هذه. هذا هو هدفهم، وهذه هي غايتهم وليس شيئاً آخر، وان إيفاءهم هذه الوظائف هو في سبيل الحصول على رضا الله تعالى. ومن الطبيعي أنهم لا يمكن أن يؤدوا هذه المهمة المقدسة في سبيل الدنيا وفي سبيل متاعها ومنافعها، ولا ينزلون أصلاً لهذا. إن طلبة النور الطاهرين لا يشغل قلوبهم أهداف وغايات دنيوية، لأن قلوبهم مشغولة بالإيمان وبأمور الآخرة، لذا فإنّه لم يخطر ببالهم أبداً ما أتهمهم به المدعي العام من القيام بتشكيل جمعية سرية، ولا يتحملون مثل هذا الاتهام[1]، بل يعملون على الاشتغال بالحقائق الإيمانية وحدها[2].

خامسا: الأخوة والمحبة والتضحية

يتجلى في رسائل النور السعي إلى تحصيل المحبّة والأخوة والتضحية ثم تمثّلها وبهذا تيسّر لها فرصة تبليغها، ذلك أنّها عملت على التأسيس العملي لجمعية المؤمنين، وتشمل في عضويتها جميع الذين انخرطوا في سلك الخدمة المؤمنة المضحية ابتداءً من أبسط منتسب فعلي إلى أكبر أستاذ، ويمثّل هذا المقصد أقدس هدف لأقدس جمعية في العالم، وتكمن عظمتها في عظمة مقاصد برنامجها،

---

١. انظر الشعاعات ٦٢٢

٢. انظر الملاحق ٩٤

برنامج يؤسس لأعلى وأسمى ما تطمح الإنسانية السوية إلى جلبه، إنّه مسلك مؤسس للاتحاد والأخوة والطاعة والمحبة وإعلاء كلمة الله.[1]

سادسا: الاتحاد بين أهل الايمان

صرّح بديع الزمان في أكثر من موضع وبأسلوب صريح - كما هي عادته - أنّ من أهمّ غايات ومقاصد رسائل النور العمل على توحيد كلمة المؤمنين، ولمّ شملهم لخدمة هدف واحد مؤدّاه خدمة الإيمان نفسه، وطريقه التأسيس العملي للوحدة الشعورية بين المؤمنين أنفسهم، فلا يصحّ أن يبقى المؤمنون مشتّتين في أهدافهم وجهودهم، ولهذا المسعى أثر عظيم في استئصال مرض خطير معبّر عنه بقولهم: "مالي وما عليّ فليفكر غيري"، يشهد لهذه المعاني قوله رحمه الله: "إنّ قصدنا وهدفنا هو اتحاد الجماعات الدينية في الهدف. إذ كما لا يمكن الاتحاد في المسالك والمشارب فلا يجوز أيضاً، لأن التقليد يشق طريقه ويؤدي إلى القول: "مالي وما عليّ فليفكر غيري".[2]

سابعا: دفع الأمراض الاجتماعية بالإيمان

يدفع الإيمان كثيرا من الأمراض الاجتماعية الفتّاكة، منها على سبيل المثال لا الحصر، مرض الحرص الذي يعد من رؤوس البلايا الأخلاقية والاجتماعية، ذلك انّه كان وسيبقى سببا تضييع كنز العيش الهنيء الرغيد ومبعث الراحة في الحياة المنبعث من القناعة، ومن هنا كان الحرص علّة الخيبة ومعدن الخسران

---

١. انظر صيقل الإسلام ٤٤٧؛ سيرة ذاتية ١٠٧

٢. صيقل الإسلام/الخطبة الشامية ٥٣٦؛ سيرة ذاتية ٩٩

والسفالة كما يتبيّن ذلك من الحديث الشريف: (القناعة كنـــز لا يفنى) فيتلف الحرص الإخلاص ويفسد العمل الأخروي، لأنّه لو وُجد حرص في مؤمن تقيّ لرغب في توجّه الناس وإقبالهم عليه، ومن يرقب توجّه الناس وينتظره لا يبلـــغ الإخلاص التام قطعاً ولا يمكنه الحصول عليه. فهذه النتيجة ذات أهمية عظمـــى جديرة بالدقة والملاحظة والعناية. [1]

يدفع الإيمان الحسد والمنافسة غير الشريفة، ذلك أنّ من مقتضيات الإيمـــان أن يتحرر المؤمن من تلك الأمراض، إذ ليس في أمور ديننا أمثال هذه الأمراض، ويرجع منشأ تلك الأسقام إلى تجاوز أو غفلة عن الأبعاد الوظيفية للإيمان، وما يترتّب بالبعد عنها من تهالك على الشهوات وما ينجرّ عنها مـــن مناقـــشات وتسابق ثم تزاحم ينتهي بأصحابه إلى الحسد. ولما كانت الدنيا ضيّقة ومؤقّتـــة ولا تشبع رغبات الإنسان ومطالبه الكثيرة، وحيث المتهالكين على شيء واحد كثر، فالنتيجة إذن السقوط في هاوية الحسد والمنافسة.

ويرجع خطر تلك الأسقام بالتعلّق بالإيمان ومقتضياته وخاصـــة الـــتفكير العملي في الآخرة وما أعدّ الله فيها للمؤمنين، إنّها فسيحة، بحيث يكون لكـــلّ مؤمن جنة عرضها السماوات والأرض تمتد إلى مسافة خمسمائة سنة، ولكـــل منهم سبعون ألفاً من الحور والقصور، فلا موجـــب هنـــاك إذن إلى الحـــسد والمنافسة قط، فيدلّنا هذا على أنّه لا حسد ولا مشاحنة في أعمال صالحة تفضي إلى الآخرة، أي لا مجال للمنافسة والتحاسد فيها، فمَن تحاسد فهو لاشك مراء أي أنّه يتحرّى مغانم دنيوية تحت ستار طلب الآخرة.[2]

---

١. انظر اللمعات ٢٢٠-٢٢٢

٢. انظر اللمعات ٢٣٧